

## تفسير البحر المحيط

@ 379 @ القرب والتأنيس . وهنا ترتب للأشقياء الإبعاد من رحمة الله . وسوء الدار أي :  
الدار السوء وهي النار ، وسوء عاقبة الدار ، وتكون دار الدنيا . ولما كان كثير من  
الأشقياء فتحت عليهم نعم الدنيا ولذاتها أخبر تعالى أنه هو الذي يبسط الرزق لمن يشاء  
ويقدر ، والكفر والإيمان لا تعلق لهما بالرزق . قد يقدر على المؤمن ليعظم أجره ، ويبسط  
للكافر إملاء لازدياد آثامه . ويقدر مقابل يبسط ، وهو التضييق من قوله : { وَمَنْ قُدِّرَ  
عَلَيْهِ رِزْقُهُ } وعليه يحمل { فَطَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ } وقول ذلك  
الذي أحرق وذري في البحر : { لَنْ نَقْدِرَ \* قُدِّرَ \* اللّٰهُ عَلَيْهِ } أي لن ضيق . وقيل :  
يقدر يعطي بقدر الكفاية . وقرأ زيد بن علي : ويقدر بضم الدال ، حيث وقع والضمير في  
فرحوا عائد على الذين ينقضون ، وهو استئناف إخبار عن جهلهم بما أوتوا من بسطة الدنيا  
عليهم ، وفرحهم فرح بطر وبسط لا فرح سرور بفضل الله وإنعامه عليهم ، ولم يقابلوه بالشكر  
حتى يستوجبوا نعيم الآخرة بفضل الله به ، واستجهلهم بهذا الفرح إذ هو فرح بما يزول عن  
قريب وينقضي . ويبعد قول من ذهب إلى أنه معطوف على صلات . والذين ينقضون أي : يفسدون في  
الأرض ، وفرحوا بالحياة الدنيا . وفي الكلام تقديم وتأخير . ومتاع : معناه ذاهب مضمحل  
يستمع به قليلاً ثم يفنى . كما قال الشاعر : % ( تمتع يا مشعث إن شيئاً % .  
سبقت به الممات هو المتاع .  
% ) .  
وقال آخر : % ( أنت نعم المتاع لو كنت تبقى % .  
غير أن لا بقاء للإنسان .  
% ) .  
وقال آخر : % ( تمتع من الدنيا فإنك فان % .  
من النشوات والنساء الحسان .  
% ) .  
قال الزمخشري : خفي عليهم أن نعيم الدنيا في جنب نعيم الآخرة ليس إلا شيئاً نذراً ،  
يتمتع به كعجالة الراكب ، وهو ما يتعجله من تميرات أو شربة سويق أو غير ذلك انتهى .  
وهذا مني قول الحسن : أعلم الله نبيه صلى الله عليه وسلم ) أن الحياة الدنيا في جنب ما أعد  
الله لأوليائه في الآخرة نذر ليس يتمتع به كعجالة الراكب ، وهو ما يتعجله من تميرات أو

شربة سويق أو غير ذلك . وقال ابن عباس : زاد كزاد الرعي . وقال مجاهد : قليل ذاهب من متع النهار إذا ارتفع فلا بد له من زوال . .

{ وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِّن رَّبِّهِ قُلْ }  
إِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ . { أَنْزَابَ } : نزلت : ويقول  
الذين كفروا ، في مشركي مكة ، طلبوا مثل آيات الأنبياء . والملمتمس ذلك هو عبد الله بن أبي  
أمية وأصحابه ، رد تعالى على مقترحي الآيات من كفار قريش كسقوط السماء عليهم كسفاً .  
وقولهم : سير علينا الأخشبين ، واجعل لنا البطاح محارث ومغترساً كالأردن ، وأحي لنا  
مضيئنا وأسلافنا ، ولم تجر عادة الله في الإتيان بالآيات المقترحة إلا إذا أراد هلاك مقترحها ،  
فرد تعالى عليهم بأن نزول الآية لا يقتضي ضرورة إيمانكم وهداكم ، لأنَّ الأمر بيد الله يضل من  
يشاء ويهدي من يشاء . .

وقال الزمخشري : ( فإن قلت ) : كيف يطابق قولهم : لولا أنزل عليه آية من ربه ، قل إن  
الله يضل من يشاء ؟ ( قلت ) : هو كلام يجري مجرى التعجب من قولهم ، وذلك أن الآيات الباهرة  
المتكاثرة التي أوتيتها رسول الله صلى الله عليه وسلم ) لم يؤتها نبي قبله ، وكفى بالقرآن  
وحده آية وراء كل آية ، فإذا جحدوها ولم يعتدوا بها وجعلوه كأنه لم ينزل عليه قط كان  
موضع التعجب والاستنكار ، فكأنه قيل لهم : ما أعظم عنادكم وما أشد تصميمكم على كفركم إن  
الله يضل من يشاء ، فمن كان على صفتكم من التصميم وشدة التسليم في الكفر فلا سبيل إلى  
اهتدائكم وإن أنزلت كل آية ، ويهدي